رسالة العِتاب لغسان بن عبد الحميد دراسة نفسية

جعفر عطا الله العويدات

دكتوراة في الأدب والنقد القديم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة العلوم الإسلامية العالمية ـ عَمّان ـ الأردن.

رغدة علي الزبون

أستاذ دكتور في الأدب والنقد القديم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة العلوم الإسلامية العالمية ـ عَمّان ـ الأردن.

Ghassan ibn Abd al-Hamid's Letter of Reproach: A Psychological Study

Jafar Attallah AL-Owidat

PhD in Classical Literature and Criticism, Faculty of Arts and Humanities, World Islamic Sciences and Education University, Amman, Jordan

Email: gafar.zero19@gmail.com

Raghda Ali Al-Zuboun

Professor of Classical Literature and Criticism, Faculty of Arts and Humanities, World Islamic Sciences and Education University, Amman, Jordan.

Email: dr_ali1979@yahoo.com

الخلاصة

تبحث هذه الدراسة في رسالة العِتاب لغسان بن عبد الحميد – أحد كُتّاب القرن الثاني الهجريّ في الدولة العباسية – من منظور نفسي، بوصفها نصًا نثريًا يعكس تداخل البعد الاجتماعي بالبعد الوجداني، وقد تناولت في مبحثها الأول التعريف بالكاتب وبيئته، وبيان فن العتاب في التراث، مع تحليل أبرز الأفكار التي تضمنتها الرسالة، واعتمدت الدراسة المنهج النفسي، مستندةً إلى مفاهيم التحليل الفرويدي، لفهمٍ أعمق لأبعاد النص.

أما المبحث الثاني فقد خُصِّص لتحليل البناء النفسي للرسالة عبر صورتين متقابلتين: صورة الذات العاتبة بما تنطوي عليه من وفاء وألم وحكمة، وصورة الآخر المعاتَب بما يتجلى فيه من تقصير وجفاء، وكشف التحليل في المبحث الثالث عن الآليات الدفاعية التي استعملها الكاتب لينفي التهمة عن نفسه، ليغدو النصّ اعترافًا وجدانيًا يعكس صراع الذات بين الانفعال والتسامي، ما يجعلها وثيقة أدبية مبكرة عن حضور النفس الإنسانية في النثر العربي.

ABSTRACT

This study examines the Epistle of Reproach by Ghassan bin Abdul Hamid - one of the writers of the second century AH in the Abbasid state - from a psychological perspective, as a prose text that reflects the intermingling of the social dimension with the emotional dimension. In its first chapter, it dealt with defining the writer and his environment, and explaining the art of reproach in heritage, with an analysis of the most prominent ideas contained in the epistle. The study adopted the psychological approach, Based on the concepts of Freudian analysis, for a deeper understanding of the dimensions of the text.

The second section was devoted to analyzing the psychological structure of the letter through two contrasting images: the image of the reproachful self, with what it contains of loyalty, pain, and wisdom, and the image of the reproached other, with what is evident in him of shortcomings and coldness. The analysis in the third section revealed the defensive mechanisms that the writer used to deny the accusation against himself, so that the text became an emotional confession that reflects the struggle of the self between emotion and transcendence, Which makes it an early literary document about the presence of the human soul in Arabic prose.

الكلمات المفتاحية:
الآليات الدفاعية, رسالة العتاب, صورة الذات والآخر, غسان بن عبد الحميد, المنهج النفسي.

Keywords:
Defense Mechanisms, The Letter of Reproach, Self and Other Representation, Ghassan ibn Abd al-Hamid, The Psychological Approach.

المقدمة

تمثّل رسالة غسان بن عبد الحميد في العتاب مثالًا غنيًا لفهم التفاعلات النفسية في النصوص النثرية العباسية، لا سيّما في ضوء الطابع الوجداني للعتاب الأخوي، الذي يراعي قواعد الصداقة والأخلاق، ويجسّد محاولة الكاتب لتحقيق التوازن النفسي والأخلاقي في مواجهة خذلان الآخر، من دون الانحدار إلى الهجوم المباشر أو الإساءة الصريحة.

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسعى إلى الكشف عن البنية النفسية العميقة للخطاب العتابي في رسالة غسان بن عبد الحميد، ذلك الكاتب الذي لم يحظَ بالدراسة المستفيضة مثل غيره من كتّاب النثر العباسي، وتتمثل أهمية الدراسة أيضًا في قراءة تتجاوز الظاهر البلاغي للنص، لتستطلع الدوافع النفسية للكاتب، وصراعات الذات بين الوفاء والخذلان، والانفعالات الداخلية التي تتحكّم في صياغة الرسالة.

قصد البحث المنهج النفسي إطارًا تحليليًا أساسيًا، مستندًا إلى مفاهيم التحليل النفسي الأدبي، بغية الكشف عن الطبقات النفسية الخفية للنص، وإبراز كيف يتحوّل خطاب العتاب إلى مرآة تعكس التوترات الداخلية للكاتب، وموقفه الأخلاقي، واستجاباته الشعورية تجاه خذلان الصديق.

ترتكز الدراسة على مجموعة من الأسئلة الرئيسة، تتمثل فيما يلي:

١. ما ملامح البنية النفسية للمرسِل في رسالة غسان بن عبد الحميد؟
٢. ما سمات المُرسَل إليه في رسالة غسان بن عبد الحميد؟
٣. ما الآليات النفسية التي اعتمدها المرسِل للدفاع عن نفسه من التهم الموجّه إليه؟
٤. كيف يتجلّى مفهوم الأخوّة المهدورة نفسيًا في خطاب الرسالة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، انبنى معمار هذه الدراسة على ثلاثة مباحث رئيسة، يسبقها مقدمة تمهيدية، وتلحقها خاتمة تتضمن أهم النتائج المستخلصة:

جاء المبحث الأول بعنوان «الإطار النظري والمفاهيمي»، واستعرض فيه البحث شخصية غسان بن عبد الحميد، وبيان موقعه في فضاء الكتابة النثرية العباسية، مع مهاد نظري عن فنّ العتاب وأقوال الحكماء فيه، علاوة على إضاءات على رسالته العتابية وخصائصها الأسلوبية، فضلًا عن عرض المنهج النفسي ومفاهيمه المرتبطة بالتحليل النفسي للنصوص.

أمّا المبحث الثاني، فاختص بـ «تمثلات الذات والآخر في رسالة غسان بن عبد الحميد»، إذ تم تحليل صورة الذات العاتبة، وصورة الآخر المعاتَب، مع تفصيل التفاعلات النفسية والوجدانية بينهما.

وغاص المبحث الثالث في «الآليات الدفاعية في الرسالة العتابية»، بغية كشف الاستراتيجيات النفسية التي لجأ إليها الكاتب لرد التهمة عنه والحفاظ على التوازن الداخلي والعلاقة مع الآخر.

وتقف حدود الدراسة عند التركيز على الرسالة العتابية كما وصلت إلينا من غسان بن عبد الحميد، من دون التوسع في رسائل أخرى منسوبة إليه، كما تقتصر الدراسة على التحليل النفسي للنصوص من حيث البنية النفسية والانفعالية، مع رصد أثر المنهج النفسي في تفسير الخطاب العتابي.

أمّا بالنسبة للدراسات السابقة، فلم يظفر الباحثان – لا من قريب ولا من بعيد في

حدود اطّلاعهما - بدراسة تتناول الكاتب غسان بن عبد الحميد، سوى دراسة واحدة تناولت رسالته العتابية، وهي:

أبو خشبة، هشام علي (٢٠٢٠م)، رسالة العِتاب لغسان بن عبد الحميد دراسة تحليلية، حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ع ٣٣، مصر.

لعلّ هذه الدراسة رائدة في سبر أغوار إحدى أهم رسائل عبد الحميد، إذ قدّم الباحث من خلال جهد مضنٍ صورة متكاملة عن الكاتب، بعد أن طاف في بطون الكتب واستقصى كل الإشارات المتناثرة عنه، ثم خصّص دراسته للرسالة العتابية دراسة تحليلية دقيقة، وقف فيها عند البنية المعنوية للنص، والتشكيل الفني، وحِجَاجه، والبنية الإيقاعية، وغير ذلك من الخصائص الفنية.

غير أنّ هذه الدراسة - مع ما تحمله من فضل - لم تتناول الرسالة وفق المنهج النفسي، وما يزال هذا الجانب التحليلي الذي يسلّط الضوء على دوافع الكاتب النفسية، وصراعاته الداخلية، مجالاً خصبًا لم تطرقه الدراسات السابقة، وهو ما يميّز هذه الدراسة.

وأخيرًا، فقد أنفقنا أيامًا موصولة في سبيل إخراج هذه الدارسة في أبهى صورة، ونأمل أن نكون وفّقنا في ذلك، مُحتسبينَ الأجر والتوفيق من الله، والحمدُ لله الذي يسَّر وأعانَ وسدَّد.

المبحث الأوّل: الإطار النظري والمفاهيمي

يُعدّ الاشتغال على النصوص النثرية التراثية، ولا سيّما الرسائل، مدخلًا خصبًا لاستجلاء صور الوعي الذاتي والموضوعي في الثقافة العربية الكلاسيكية، إذ تُمثّل هذه الرسائل مجالًا لتجلّي التوترات النفسية والاجتماعية والأخلاقية في آنٍ معًا، ومن بين

هذه الرسائل، تبرز رسالة العتاب لغسان بن عبد الحميد بوصفها نوعًا تعبيريًا يراوح بين البُعد البلاغي والدافع الوجداني، ما يجعلها حيّزًا مثاليًا لاستثمار آليات التحليل النفسي في كشف الطبقات الخفية للخطاب.

وانطلاقًا من هذا التصوّر، يتوخّى هذا المبحث تقديم أرضيّة نظرية تجمع بين ثلاثة محاور رئيسة: أوّلها التعريف بصاحب الرسالة غسّان بن عبد الحميد، من حيث موقعه في فضاء الكتابة النثرية العباسية، وثانيها الوقوف عند تعريف فنّ العتاب وأقوال الحكماء فيه، وثالثها التعريف برسالته العتابية وموقعها في سياقها التاريخي والأسلوبي وأفكارها الرئيسة، ورابعها الوقوف عند ملامح المنهج النفسي بوصفه أداة قرائية تسعى إلى الكشف عن التفاعلات الشعورية والخلفيات اللاواعية التي تتخلّل البنية الخطابية للنص.

أولًا: غسان بن عبد الحميد.

غسان بن عبد الحميد المدني، كاتب عباسي اشتُهِرَ بكتابة الرسائل، قلّ ذكره في كتب التراجم، فلم تفرد له المصادر القديمة ترجمة وافية، بل وُرِدَ ذكرُه عرضًا في بطون الأسفار، يشار إليه إشارة مَن عرفَ قدرَهُ ولم يُطَل فيه القول، وقد طاف الباحث هشام أبو خشبة – في دراسته الموسومة بـ «رسالة العِتاب لغسان بن عبد الحميد: دراسة تحليلية» – بين كتب التراجم فلم يجد له سوى عبارتين في بطون الكتب (أبو خشبة، ٢٠٢٠: ٦١٤٦) إحداها للجهشياري (ت٣٢١هـ) في كتابة «الوزراء والكُتّاب»، يذكر فيها أنّه كان كاتبًا لسليمان بن علي[١] (الذهبي، ١٩٨٥: ١٦٢)، والأخرى لابن النديم (ت٣٨٥هـ) في كتابه «الفِهْرِست»، يقول فيها: «غسان بن عبد الحميد: يَكتُب لجعفر بن سليمان بن عليّ[٢] (الصفدي، ٢٠٠٠: ٨٢– ٨٣)، كان بليغًا، حلو الكلام، لطيف المعاني، وله كتبٌ مُدَوَّنة: كتابُ

١ هو سليمان بن علي الأمير عم أبي جعفر المنصور ووالیه على البصرة سنة ١٣٣هـ.

٢ هو جعفر بن سليمان بن عليّ تولّى الولاية بعد أبيه سليمان، وكان واليًا على المدينة والحجاز والبصرة، توفي سنة ١٧٥هـ.

رسـائلِهِ» (ابـن النـديم، د.ت: ١٨٣).

وعليـه، نسـتنتج أنّنـا لا نعـرف تاريـخ ولادة الكاتـب أو وفاتـه، ومـع ذلـك يمكننـا اسـتنتاج المـدة الزمنيـة التـي عـاش فيهـا، إذ نسـتنتج ذلـك مـن التاريـخ الموثّـق لسـليمان بـن علـي وابنـه جعفـر، أي أنّـه كان كاتبًـا في بدايـة الدولـة العباسـية في القـرن الثانـي الهجـريّ مـن سـنة ١٣٣ه إلـى سـنة ١٧٥ه، «ولـم يكـن كاتبًـا اعتياديًـا وإنّمـا صاحـب أسـلوب رصـين، وعبـارة بليغـة، ومعنـى لطيـف، ولـه كتـاب يضـمّ رسـائله، لكنّـه مفقـود، ومـع بلاغتـه هـذه وشـهرته لا نعـرف شـيئًا عـن نشـأته، وأسـرته، وثقافتـه، ووفاتـه» (أبـو خشـبة، ٢٠٢٠: ٦١٤٦).

أمّـا عـن نتاجـه الأدبـيّ، فقـد كان لـه ديـوانَ رسـائل كمـا ذكـر ابـن النـديم، لكنّـه فُقِـد، وكلّ مـا بقـي بـين يدينـا هـو اثنتـا عشـرة رسـالة، قسـم منهـا في جمهـرة رسـائل العـرب (صفـوت، ١٩٣٨: ١١٣ـ١٢٦)، وقسـم آخـر منهـا في المنظـوم والمنثـور لابـن طيفـور (ابـن طيفـور، ١٩٨٤: ٣٠٠ـ٣١٠)، منهـا مـا هـو بالتهنئـة أو بالعتـاب، أو بالتحميـد، وجلُّهـا في التعزيـة (أبـو خشـبة، ٢٠٢٠: ص٦١٥١).

وإذا انتقلنـا إلـى الحديـث عـن ثقافـة غسـان بـن عبـد الحميـد، بـدا لنـا واضحًـا أنـه كان واسـع الاطـلاع، عميـق المعرفـة، يتجلـى ذلـك في رسـائله التـي تعبّـر عـن ذوق أدبـي رفيـع، ولغـة متينـة، وأسـلوب يـدل علـى دُرْبَـةٍ وتمكـن، فقـد عـاش في القـرن الثانـي الهجـري، في زمـن ازدهـرت فيـه العلـوم، ونشـطت حركـة الترجمـة، واتسـعت دائـرة الثقافـة (ضيـف، د.ت: ٨٩ـ١٣٧)، فـكان لذلـك كلـه أثـر واضـح في تكوينـه الفكـري والأدبـي، ويُلاحـظ في كتاباتـه تـوازن بـين الفكـر والبيـان، مـا يـدل علـى أنـه لـم يكـن كاتبًـا عابـرًا، بـل أديـب مثقـف عـاش عصـره وتفاعـل مـع قضاياه.

ثانيًا: فن العتاب.

لـم يكـن العتـاب يومًـا هامشًـا في خطـاب الأدب العربـي، بـل كان أحـد أنفـذ الأبـواب إلـى النفـس، وأصدقهـا تعبيـرًا عـن المشـاعر الموارِبـة بـين الرضـى والغضـب، وبـين الوصـال

والجفاء، ولعلّ أبرز ما يشهد لهذا الفنّ ما خلّفه كبار الكتّاب والشعراء من نصوص عتابية، بلغت من القوة والصدق ما لا يبلغه الهجاء ولا الرثاء (جابر، ٢٠١٣: ع١٠)، فذاك المتنبي ـ مثلًا – وقد طوى قلبه على كرامة مترفّعة، لم يتردّد في عتاب سيف الدولة مرارًا، فكان عتابه مرآة لنفسه العالية، كما كان في الوقت ذاته وثيقة تؤرّخ لتلك العلاقة المركبة بين الشاعر والأمير.

فالعتاب فنّ وجدانيّ رقيق، يلجأ إليه المرء – شاعراً كان أو غير شاعر – متى أحسّ بأنّ ودَّ صاحبه قد شابَه فتور، أو أنّ صفوه قد اعتراه كَدَر، أو أنّ إساءة بدرت منه عن قصد أو عن غير قصد، فيجيء العتاب حينئذٍ تذكيرًا متبادلًا بما مضى من مواقف المودّة والإخلاص، رجاءَ أن يلين القلب، ويزول ما ران عليه من جفاء، فيعود الصفاء إلى مجراه الأول (الربيعي، ١٩٩٩: ١).

ولقد وقف نَفَرٌ من الحكماء والعلماء عند باب العتاب، فمنهم من رآه سُلّمَ المودّة، وذريعةً إلى تثبيت أواصر الإخاء، فقالوا: «مَن لم يعاتب على الزلة، فليس بحافظٍ للخلّة» (القرطبي، د.ت: ٧٢٦)، وفي هذا القول إشعار بأن ترك العتاب تضييع لحرمة الصداقة، إذ إنّ العتاب صيانة لها لا هدماً، وقال بعضهم: «تَعاتُب الإخوان فيما بينهم بعثٌ على الإجلال والإكرام» (القرطبي، د.ت: ٧٢٦)، وفي هذا ما يُفصح عن أنّ العتاب لا يُقصَد به النيل من الكرامة، بل صونها، بل رفع شأنها، وقال آخر: «عاتبْ مَن ترجو رجوعه» (القرطبي، د.ت: ٧٢٦)، فجُعِل العتاب كالدواء لا يُصرف إلا لمستحق، ثم قيل: «مَن كثر حقده قلّ عتابه» (القرطبي، د.ت: ٧٢٦)، وفي هذا تنبيه إلى أن الامتلاء بالضغينة يعطل لغة الصفاء، أما الجاحظ، فقد جمع خلاصة القول فقال: «العتاب رائد الإنصاف وشفيع المودة، ويد للمحافظة» (القرطبي، د.ت: ٧٢٧)، كاشفًا عن جوهر العتاب بوصفه وسيلةً إلى حفظ المروءة واستبقاء الودّ.

وفي المقابل، نرى طائفةً أخرى جعلت العتاب بابًا للفرقة، فرأوا فيه نذير قطيعة لا بشير صلة، فقالوا: «العتاب مفتاح التّقالي، والعتاب قرين الحقد» (القرطبي، د.ت: ٧٢٦)،

مشيرين إلى أنّ الإكثار منه يستجلب الضغائن، وقال بعضهم: «الإكثار من العتاب، داعية إلى الملال» (القرطبي، د.ت: ٧٢٦)، فجعلوا كثرة العتاب أثقل على النفس من الإساءة ذاتها. وقال آخر: «مَن أحب أن يسلم له صديقه، فليقبلْ عذره، وليقلَّ عتابه، فإن العتاب يجرّ الملال» (القرطبي، د.ت: ٧٢٦)، وفي هذا ميلٌ إلى الإعراض عن لوم الأحبة طلبًا لسلامة العشرة، بل زاد بعضهم فقال: «العتاب مفتاح القطيعة» (القرطبي، د.ت: ٧٢٧)، فجعلوه نذيرًا للفصام بعد الوصال.

وإذا ما نظرنا في هذه الأقوال، وجدنا أنّ العتاب ليس على وتيرة واحدة، بل هو كالسيف؛ حدّه النافع رحمة، وحدّه المفرط نقمة، ففلسفة العتاب تقوم على التوسط، فإن جاء بقدر كان جسرًا إلى القلوب، يُطهّرها من شوائب الغفلة، ويُعيدها إلى صفائها الأول، وإن جاوز حدّه انقلب إلى هدم للصلة ومثار للضغائن، فهو فنّ موزون، إن أُحسن استعماله كان «شفيع المودة» كما قال الجاحظ، وإن أسيء تدبيره صار «مفتاح القطيعة» كما أنذر المعترضون.

ثالثًا: إضاءات على الرسالة وأفكارها.

تندرج رسالة غسان بن عبد الحميد ضمن العتاب الموزون، إذ إنّها عتاب إخواني يفيض بصدق الشعور، لا هو بالعتب الجارح، ولا هو بالهجر القاطع، بل هو من جنس ذلك العتاب الذي يكون بين الأحبة، حين يَخذل أحدُهم الآخر في موقف، أو يغيب عن لحظة كان يُرجى حضوره فيها، وقد كتب غسان بن عبد الحميد هذه الرسالة لجعفر بن سليمان الوالي الأمير الذي يَكتب له غسّان، وقد أكّد ذلك هشام أبو خشبة في دراسته (أبو خشبة، ٢٠٢٠: ٦١٦١)، بعد أن التقط إشارة تُعدّ نسيجة وَحْدِها في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيّان التوحيديّ إذ يقول فيها: «وكتبَ غسان بن عبد الحميد المدني إلى جعفر بن سليمان الهاشميّ يعاتبه...» (التوحيدي، ١٩٩٨: ١٤٩)، ثم ساق أبو حيّان أجزاء من رسالته العتابية.

أما عن الأفكار الرئيسة التي تَعرَّض إليها الكاتب غسان بن عبد الحميد في رسالته، فيُمكن إجمالها بما يلي (صفوت، ١٩٣٨: ١١٣ وما بعدها):

١. **تمهيد في طبائع البشر وصلاتهم:** يفتتح الكاتب رسالته بتأصيل نظريّ، يبين فيه أنّ الناس أطوار في أخلاقهم كما هم أطوار في صورهم، وأنّ المودّة والأخوّة حقوق لا تُصان إلّا بالوفاء والأمانة.

٢. **الوفاء معيار الكرامة:** يرسّخ أنّ مَن يحفظ العهد لأخيه فإنّما يحفظ شرف نفسه، أمّا من يضيّع الوفاء فقد نقّص ذاته قبل أن ينقص غيره؛ فالخيانة عارٌ لا يستبدل.

٣. **الموقع الأخلاقي للكاتب:** يذكّر صاحبه بأنّه عاش وفيًّا، حافظًا لعهوده، مؤديًا لما لزمه من حقوق الإخاء، وأنّ صلته لم تكن يومًا مبنية على منفعة عابرة، بل على خيار واعٍ ومودّة صافية.

٤. **الخذلان والسعاية:** يواجه صديقه بما بلغه من قبول سعاية مغرضة وكذب مُلفَّق، ويُبيّن أنّ مثل هذا القبول يهدم أساس الأخوّة، ويُضعف حرمة الصداقة، ويجعل الصديق أهون من أن يُصدّق في براءته.

٥. **الشكوى والعتاب الممزوجان بالنصح:** يَعْتَب على صاحبه أنّه حَجَبَ رسائله وقطع تواصله، وأنّ ذلك يجرّ إلى قطيعة لم يعتدها منه، داعيًا إيّاه إلى التروّي والتمحيص قبل أن يُسلّم لقول السفهاء، وإلى أن يعود إلى جادّة الوفاء التي عهدها فيه.

٦. **الخاتمة بالصفح والدعاء:** يختم رسالته مؤكدًا أنّه لا يزال على حسن الظنّ به، صابرًا على بليّة الجفاء، راجيًا من صاحبه أن يراجع نفسه، وأن يَعلم أنّ حرمة الإخاء عنده مصونة لا تنقض، والسلام ختام.

ولئن غاب اسم المُرسَل إليه عن الرسالة، ولم يذكره الكاتب في ثنايا الرسالة، فإنّ سياقها الحواري، ونبرة خطابها، والتعبير الموجود فيها، تدلّ جميعها على أنّها وُجّهت إلى صديق أو قريب، لِمَن هو بمنزلة جعفر بن سليمان عند غسان، فقد كان كاتبه الخاصّ، يستشيره في الأمور كلها ويكتب له، فهذه الرسالة تتأسّس على وشائج القربى والمودّة، وتروم الإصلاح لا الإدانة، فيقول غسان بن عبد الحميد في مَعْرِض رسالته مخاطبًا

صديقه: «ولقد ثَقُلَ عليَّ ما كانَ من ذلك وهو باطل، صونًا للنفس عنه، فكيف أرضى أن يكونَ منِّي ما أستحقّه به؟ وإنّي لأرجو أنْ أكونَ ممَّن يصبر للوفاءِ على بَليَّةٍ إنْ نَزَلَتْ...» (صفوت، ١٩٣٨: ١٢٠)، وفي موضع آخر يقول: «فكيفَ أَهْتِكُ حُرْمَتَكَ عَنْ غَيْرِ إِساءةٍ مِنْكَ؟...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٩).

وإذا وقفنا عند أسلوبية الرسالة وبلاغتها، فإنّنا نجدها تفيض بأسلوبية دقيقة تمثل توازُنًا بين فصاحة البيان وصدق الانفعال، ويظهر فيها وعيٌ بلاغيّ رفيع بمراعاة مقتضى الحال؛ إذ إنّها تعج بالتضاد والمقابلة، وهما سمتان بارزتان يخدمان غرض الرسالة، إذ تتراوح عباراتها بين الوفاء والخيانة، والصدق والكذب، والعتب والرجاء، وغيرها، وقد جاءت تراكيبها مشحونة بإيقاع وجداني، تتقلّب بين الحدة واللين، فتُظهر صراعًا داخليًّا يُترجَم ببلاغة اللغة، من دون أن يفقد الكاتب اتزانه أو يخلّ بمقام الخطاب.

ومجمل القول: إنّ هذه الرسالة تحفل بما يدلّ على براعة كاتبها، وإدراكه النفسي لطبائع النفوس في حال الجفوة والخصومة، فهي تمثّل مظهرًا من مظاهر العتاب الأخوي الذي لا يروم هتك الحجب، بل يلوذ بالحكمة، ويتوسّل البيان لردم الخلاف.

رابعًا: المنهج النفسي: الأسس والمفاهيم.

يُعدّ المنهج النفسي أحد أبرز المناهج النقدية التي فتحت أفقًا جديدًا لفهم النصوص، إذ لم يعد الأدب يُقرأ بوصفه بنية لغوية فحسب، بل بوصفه مرآةً تعكس العوالم النفسية للمبدع، وانفعالاته، وتوتراته، وما يعتمل في لاوعيه من رغائب ومكبوتات.

ومن هنا، برزت الحاجة إلى الوقوف على الأسس التي يقوم عليها هذا المنهج، واستجلاء المفاهيم التي يتوسل بها النقّاد في تأويل النصوص وتأطيرها ضمن رؤية تتّخذ من النفس الإنسانية محورًا للفهم والتحليل.

يرى (فرويد) أنّ النشاط النفسي يتوزّع بين ثلاث قوى، وهي: الأنا، والأنا الأعلى، والهو، ووظيفة الأنا الأعلى على الدوام الضغط أو الكبت، ووظيفة الهو النزوع إلى

المحّرم، والأنا حائر بين الأنا الأعلى والهو، يُعاني التوترات جرّاء ضغطهما، والقوى الثلاث السابقة، تعمل في مستويات ثلاثة، وهي: الشعور، واللاشعور، وما تحت الشعور (فرويد، ١٩٦٦: ١٦).

وتوصّل (فرويد) أنّ اللاشعور هو المصدر الحقيقي للفنّ، وليست هذه النظرية وَقفًا على أصحاب التحليل النفسي، فكثير من علماء النفس قبله أكّدوا دور اللاشعور في الإبداع الفني، بل إنّ كثيرًا من الشعراء قد أشاروا إلى الإلهام، وأكّدوا أنّهم يشعرون بأنّهم أدوات منفعلة توجهها قوى خارجية، في صياغة أجمل روائعهم الأدبية (فرويد، ١٩٦٦: ص٢٥ وما بعدها).

إن الذي يُظهر عالم اللاوعي في الأدب ليس عالِم النفس، بل الأديب نفسه؛ فهو من يعبر عن أعماقه ويجسّدها في نصه الإبداعي، أما عالِم النفس، فدوره يقتصر على وصف هذا العمل وتحليله، وقد رأى فرويد في الأدب وسيلة مفيدة لدعم نظريته حول اللاوعي، فاستند إلى بعض النماذج الأدبية، خاصة من أعمال شكسبير، ليبرهن على صحة أفكاره ويدافع عنها (الربيعي، ١٩٩٤: ٣٠٣).

ومن المفاهيم التي جاء بها (فرويد) وتُعدّ ذات علاقة وطيدة بمسار تحليل رسالة غسان بن عبد الحميد هو مفهوم الميكانيزمات الدفاعية الذي يُعرَّف على أنه الأساليب التي تستغلها الأنا في الصراعات التي تؤدّي إلى الاضطراب العصبي، وهناك تسعة ميكانيزمات دفاعية، منها: الكبت، والنكوص، والإسقاط، والتسامي، والإنكار، والتقمّص، وغيرها (وجليسر، د.ت: ٣).

تُعدّ الميكانيزمات الدفاعية أداة تحليلية مهمة لفهم البُعد النفسي في رسالة العتاب، إذ تكشف ما يعتمل في نفس الكاتب من توتر داخلي بين البوح والتماسك، ولعلّ رسالة غسان بن عبد الحميد تُعَدّ مثالًا صالحًا لهذا النمط من القراءة، بما تحمله من بُنى نفسية خفية، تكشفها آليات الدفاع التي تتسلل بين طيّات العبارة وسكون الحروف، ما يجعلها نصًا يتجاوز شكله الظاهري إلى عُمق نفسيّ ثريّ يستوجب التأمّل والكشف.

المبحث الثاني: تمثلات الذات والآخر في رسالة غسان بن عبد الحميد

إذا كانت الرسالة العتابية في جوهرها ضربًا من ضروب البوح الانفعالي، فإنها في بنيتها الأعمق تمثّل مشهدًا نفسيًّا مركّبًا، تتداخل فيه صور الذات والآخر، وتتشابك فيه خيوط الشعور بالخذلان، والرغبة في الإنصاف، والتوق إلى استعادة ما انكسر من روابط، وفي رسالة غسان بن عبد الحميد، تتبدّى الذات العاتبة بوصفها كيانًا متأرجحًا بين الانفعال والتبرير، وبين الإدانة والتسامح، في خطاب ينهض على استدعاء الماضي، ومساءلة الحاضر، واستشراف موقف أخلاقي من الآخر.

ولئن كان المبحث الأول قد مهّد السبيل إلى فهم الخلفية النظرية والمنهجية التي تنتظم هذه الدراسة، فإن هذا المبحث ينهض على تحليل البنية النفسية للخطاب، من خلال تتبّع تمثّلات الذات العاتبة، وصورة الآخر المُعاتَب، في ضوء ما يُفصح عنه النص من تحولات شعورية، وتوترات داخلية، وانفعالات متباينة.

أولًا: صورة الذات العاتبة في الرسالة.

تتبدّى الذات العاتبة، في رسالة غسان بن عبد الحميد، بوصفها ذاتًا مثقلةً بالخذلان، مشبعةً بالوفاء، مترددةً بين الحنين إلى ما كان، والمرارة مما صار، في خطاب ينهض على استدعاء القيم، واستحضار المواقف، واستنطاق الذاكرة الأخلاقية، لا بوصفها سردًا للماضي، بل بوصفها احتجاجًا على الحاضر، واستبصارًا للمآل.

وقد استهلّ الكاتب رسالته باستدعاء كونيٍّ عام، يُمهّد لصورة الذات بوصفها جزءًا من نظام أخلاقي أوسع، إذ قال: «فإنّ اللّٰه جعلَ العبادَ أطوارًا في أخلاقِهم، كما جعلَهم أطوارًا في صورِهم، وجعلَ بينهم أمورًا يتآلفونَ عليها، ويُعملونَ أحلامَهم فيها ...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٣). وفي هذا التمهيد، يُقدّم الكاتب نفسه بوصفه فردًا من هذا النظام الكونيّ العام.

ثم ينتقل إلى تمثيل ذاته بوصفها وفيّةً، حافظةً للحرمة، راعيةً للعهود، فيقول: «فما

كنتُ لأقطعَ خاصّتي ممّن يرغبُ في عامّتي، ولا لأُضيّعَ الكثيرَ ممّن لا يُضيّعُ اليسير، ولا ألقى أخًا شاهدًا بغيرِ ما أكونُ عليه غائبًا...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٥)، وفي هذا الموضع، تتجلّى الذات العاتبة بوصفها ذاتًا أخلاقيةً، تُحاكم نفسها قبل أن تُحاكم الآخر، وتُقدّم معيارًا سلوكيًا يُفصح عن التزام داخليّ لا يُنتقص إلا بالخيانة.

كما نجد في الموضع السابق أنّ الكاتب يسعى إلى محاكمة نفسه أمام الآخر، ليبرِّئَ نفسه من تهمة الخيانة؛ ذلك أنّ الكاتب يحاول الهروب من حالة إحساسه الحاد بالواقع، عن طريق الأدب، حتى يخلّص واقعه النفسيّ الذي يموج بألوان الصراع (إسماعيل، د.ت: ٣٧).

ثمّ يُعيد الكاتب بناء صورة ذاته ضمن سياق أخلاقيّ يتجاوز ردود الأفعال الآنيّة، ويُرسّخها بوصفها ذاتًا وفيّةً لا تتبدّل بالغياب، ولا تنكسر تحت وطأة الاتهام، ففي قوله: «بل أنا لأخي حينَ يغيبُ عنّي أرعاهُ، أحفظُ منّي حينَ يُشاهدني، فيُعاينَ ما يكونُ منّي...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٥) ، تتجلّى الذات في مقام الحارس الأمين، الذي لا يُفرّط بالودّ، ولا يُبدّل موقعه من العلاقة، حتى في غياب الطرف الآخر، هذا التوصيف لا يُعبّر عن موقف عابر، بل يُشير إلى بنية ضميريَّة حيَّة، تُسهم في خفض التوترات الناتجة عن المشاعر المُستثارة، عبر آلية دفاعية راقية تُعيد التوازن إلى الذات (لامبرت، ١٩٩٣: ٥٩).

بعدها يصل الكاتب إلى لحظة الانكشاف بعد التمهيد بالحديث، فيقول: «وإنّهُ بلغني أن غاشًّا ظالمًا أتاكَ بأمرٍ، لم أكنْ له أهلًا، ولم تكنْ بقبولِه خليقًا، لأنّي لم أكنْ لأشباهِه معروفًا، ولم أكنْ على استماعِ مثلِه مخوفًا، فوجدَ فيكَ مساغًا، وعندكَ مستقرًّا...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٦)، فالذات العاتبة في هذا المقطع تظهر بوصفها واعية ومتماسكة، تصوغ ألمها بلغة عقلانية لا انفعالية، لا تكتفي بإنكار التهمة، بل تؤسس لهوية أخلاقية ترى في قبول الآخر للوشاية خيانة لثقة كانت مفترضة، يتحول العتاب من لوم الظالم إلى مساءلة الصديق، إذ يكمن الجرح الحقيقي في خيبة الأمل لا في الافتراء ذاته، وعليه تتخذ

الـذات موقعًـا أخلاقيًـا أعلـى، تُذكّـر الآخـر بمـا كان يجـب أن يعرفـه عنهـا، وتدعـوه ضمنيًـا إلـى مراجعـة موقفـه.

ثم تتجلّى الـذات العاتبـة الحافظـة للعهـود علـى الرغـم مـن تقلّـب الزمـان، فيقـول: «لقـد طالـتْ عِشْـرَتي، وتـردَّدَ خَبَـرُكَ علَـيَّ في حـالاتٍ مُتصرِّفـةٍ، ومنـازلَ مُختلِفـةٍ، لا يَصـرِفُ حالـي لـك حـالٌ انصرَفَـتْ، ولا يُقلِّـبُ رأيـي منزلـةٌ انقلَبَـتْ...» (صفـوت، ١٩٣٨: ١١٧)، هنـا تتبـدّى الـذات العاتبـة بوصفهـا ذاتًـا ثابتـةً في الوفـاء، لا تغيّرهـا تقلّبـات الأحـوال، ولا تنقلـب علـى إخائهـا بتغيّـر المنـازل، وهـذا الثبـات يُعبّـر عـن بنيـة ضميريـة راسـخة، تُقـاوم التقلّـب، وتُعانـد النسـيان، وتُحافـظ علـى العهـد علـى الرغـم مـن تبـدّل الزمـان والمـكان.

ثـم نجـد الكاتـب يلبـس ثـوب الحكمـة فيقـول: «فـإذا لـم تكـنْ لذلـكَ رادًّا مكذّبًـا، فهـلّا كنـتَ فيـهِ واقفًـا متأمّـلًا، حتـى تكشـفَهُ ويتبـيّنَ لـكَ حقُّـه مـن باطلـه! فـإنْ وجدتَـهُ حقًّـا، أتيـتَ مـا أتيـتَ علـى بيّنـةٍ لـكَ فيهـا حجّـةٌ، وإنْ وجدتَـهُ باطلًـا، كانَ أن تسـتخرجَ أخـاكَ مـن تُهمـةٍ، خيـرًا مـن أن تُقيـمَ لـه علـى سَـخطةٍ، ولـم يكـنْ منـهُ إسـاءةٌ...» (صفـوت، ١٩٣٨: ١١٧).

وهنـا نجـد الـذات العاتبـة متلبّسـةً بالحكمـة والانفعـال المضبـوط، فهـي لا تنفجـر غيظًـا ولا تصمـت قهـرًا، بـل تعبّـر عـن مشـاعرها بخطـاب عقلانـيّ مشـوب بألـم دفيـن، ولعـلّ الكاتـب في خطابـه هـذا يُظهـر لنـا الأنـا أنّهـا في حالـة شـدّ داخلـي بـين الغضـب والتـروّي، فالنفـس جريحـة لكنهـا تُمسـك بزمامهـا، وتُوجّـه الآخـر لا بلـوم فـجّ، بـل بنـداء يطلـب منـه إعـادة النظـر والتأمـل.

تبـدو الـذات في توتّـر خفـيّ، إذ تبحـث عـن الحقيقـة في موقـف الآخـر، لكنهـا تُحيـل الموقـف إلـى ضميـر المخاطـب، وتدفعـه نحـو التفكّـر لا التنافـر، وتَكمـن الدوافـع النفسـية في رغبـة الأنـا في تطهيـر العلاقـة مـن الظنـون، وتفريـغ الشـحنة الانفعاليـة عبـر خطـاب يُعيـد للكاتـب التـوازن النفسـي والكرامـة معًـا (الرفاعـي، ١٩٦٦: ١٠٥).

وتبلـغ صـورة الـذات ذروتهـا حـين يُعلـن الكاتـب صبـره علـى الوشـاية، حفظًـا للصداقـة

وصفحًا عن الصديق، فيقول: «ولقد ثَقُلَ عليّ ما كانَ من ذلكَ، وهو باطلٌ، صونًا للنفسِ عنه، فكيفَ أرضى أن يكونَ منّي ما أستحقُّه به؟ وإنّي لأرجو أن أكونَ ممّن يصبرُ للوفاءِ على بليّةٍ إنْ نزلتْ، فكيفَ أخرجُ منه بغيرِ اضطرارٍ إلى غيرِه؟...» (صفوت، ١٩٣٨: ١٢٠).

يتجلّى في هذا النص صراع نفسي عميق بين صراع الإقدام والإحجام (الرفاعي، ١٩٦٦: ٢٤٦)، بين رغبة دفينة في ردّ الإساءة وردّ الاعتبار للذات المجروحة، وبين وازع أخلاقي يفرض الصبر والسكوت حفاظًا على حرمة العلاقة ووفاءً لما كان من مودة وصداقة، فالكاتب لا يفتقر إلى القدرة على الرد، بل يمتلك من البيان ما يُمكّنه من ذلك، لكنه يختار التجلّد والترفع، فيكشف بذلك عن صراع داخلي تتجاذبه عاطفتان متناقضتان: عاطفة الكرامة التي تأبى السكوت على الأذى، وعاطفة الوفاء التي تستحي من القطيعة وتأنف الرد بالمثل، ولذا يبدو الصمت هنا فعلاً واعيًا لا يُفسَّر بالعجز، بل يُعبّر عن سموّ في الأخلاق، وانضباط في الانفعال، ورفض للانحدار إلى مستوى الخصومة.

ثم يختم رسالته قائلًا: «ونحنُ نحسنُ الظنَّ بكَ، وبحالِنا عندكَ، لا نُنزلُ ذلكَ إلّا على العذرِ لكَ، والشغلِ منك، ثمّ إخراجُكَ ما أخرجتَ، إخراجُ مُحقّقٍ مُتيقّنٍ، لا إخراجُ مُتأمّلٍ ناظرٍ، فراجعْ أحسنْ، واعلمْ أنّا لم نَحلْ عن حبسِ الرأيِ في حفظِ حقِّكَ ساعةً من ليلٍ ولا نهارٍ، في سرٍّ ولا علانيةٍ، ولا غيبةٍ ولا شهادةٍ، ولا نأتي أمرًا يُنقصُ من حرمتِنا، والسلامُ» (صفوت، ١٩٣٨: ١٢٠).

يظهر صوت الأنا الأعلى من خلال التزام المتكلم بحسن الظن، وتجنّب الحكم السلبي على الرغم من الغياب، فيؤكّد أنه لم يتخلَّ عن حفظ حق المخاطب في أي وقت، ما يعكس رقابة داخلية أخلاقية صارمة، وقد دعا الكاتب المخاطَب إلى مراجعة نفسه بلغة راقية، تُحمّل الآخر مسؤولية أخلاقية من دون أن تُسقط عنه الاحترام.

ونافلة القول: تتجلّى الذات العاتبة في رسالة غسان بن عبد الحميد بوصفها كيانًا نفسيًا أخلاقيًا متوازنًا، فالكاتب يعاني من خذلان عميق لكنه يظل وفياً وصبوراً، يصوغ

عتابه بحكمة وضبط انفعالي، يراجع نفسه قبل أن يلوم الآخر، ويحتفظ بسموّ الكرامة على الرغم من الألم، مؤكداً في عتابه حرصَه على الحفاظ على الروابط والوفاء بالعهود على الرغم من الجرح وتصديق الوشاية.

ثانيًا: صورة الآخر المُعاتَب في الرسالة.

لعلّ بنية الرسالة العتابية لا تكتمل من دون حضور الطرف الآخر، إذ إنّ وجوده شرط لقيام الخطاب ومحرّك أساسي لانفعالات الذات الكاتبة، وعلى الرّغم من أنّ المُعاتَب في هذه الرسالة يظلّ مجهول الاسم والملامح، فإنّ حضوره النفسي والوجداني يتجلّى بوضوح في ثنايا النص، من خلال ما تنسبه إليه الذات العاتبة من صفات، وما تفترضه من نوايا، وما تبثّه إليه من مشاعر متضاربة.

ومن هنا، تتبدّى صورة الآخر بوصفه مرآةً لخذلان الذات تارة، وبؤرةً للأمل في الإصلاح تارة أخرى، في سياق لغوي يراوح بين التذكير بالمودّة والتلويح بالأسى، وسأعمل في ما يلي على تحليل صورة هذا الآخر المعاتَب من خلال مجموعة من النقاط التي توضّح أبعاد حضوره في الرسالة، وهي كالآتي:

أ- الآخر مجهول الهُويَّة.

لقد جاء «الآخر» في رسالة العتاب مجهول الهوية تمامًا، فلا اسم، ولا لقب، ولا وظيفة، ولا صفة تُفصح عنه، وهذا الإخفاء ليس مجرد تغافل عرضي، بل يبدو مقصودًا، ويكشف عن دلالة نفسية مهمّة، إذ يُحيل على نزوع الكاتب إلى تعميم التجربة العاطفية، وتحويل الخطاب من موقف شخصي إلى صورة إنسانية تمسّ كل قارئ، وتستدعي تجاوبًا وجدانيًا واسعًا.

ولعلّ افتتاح الرسالة بقوله: «فإنّ اللّهَ جعلَ العبادَ أطوارًا في أخلاقِهم، كما جعلَهم أطوارًا في صورِهم، وجعلَ بينهم أمورًا يتآلفونَ عليها، ويعملونَ أحلامَهم فيها ... تُرعى

بوفاءٍ، وتُؤدّى بأمانةٍ، وتُضيّعُ بتقصيرٍ، وتُنتقصُ بخيانةٍ» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٣)، يعكس هذا التوجّه التعميمي، إذ إنَّ الكاتب يؤسّس لعتابه بمقدمة أخلاقية عامة تمهّد لسياق إنساني يتجاوز الذات واللحظة. وكأنّه يقول: ما سأرويه ليس تجربة شخصية، بل مرآة لطبيعة بشرية تتكرر.

كما أن التكتّم على هوية المعاتَب قد يكشف عن نزاع نفسي داخلي، بين الرغبة في الكشف والتخفف، والخشية من المواجهة المباشرة، أو الحفاظ على مسافة تحفظ ماء وجه الطرفين، فالرسالة تمضي في لياقة أدبية، وحرص على ألا تُحدث شرخًا لا يلتئم، ولهذا ظلّ «الآخر» غير معنيّ بالتشهير، بل معنيّ باستثارة ضميره، وهذا يتناسب تمامًا مع علاقة غسان بن عبد الحميد بالأمير الوالي جعفر بن سليمان الهاشميّ.

وهكذا، فإن مجهوليِّة «الآخر» ليست عيبًا بل جزء من جماليات النص وعمقه النفسي، إذ تحوّل الخطاب من توجيه مباشر إلى صوت داخلي، تتصارع فيه مشاعر التوق والخذلان، من دون أن يتحوّل إلى خصومة أو هجوم، ففي أسلوب الكاتب تفصيل، وعتاب الكتاب أقرب للقبول، والتلميح أنجع من التصريح، ولعلّ أحسنَ العتاب ما كان في كِتاب (التميمي، ٢٠١١م: ٤١).

ب- الآخر بوصفه الخاذل.

تُبرز الرسالة صورة الآخر بوصفه شخصًا خذل الذات، وأخلّ بالوفاء والعهود التي رُسمت بينهما، هذه الصورة تمثل خيبة أمل عميقة، إذ ظهر الآخر متراجعًا عن مواقفه السابقة، متخلّفًا عن مسؤولياته تجاه العلاقة، وعليه، تُعبّر هذه الصورة عن جرح عاطفي أصاب الذات نتيجة فقدان الثقة وانكسار الروابط، ما يجعل الآخر محور الألم.

يظهر الخذلان من الصديق في الرسالة بقوله: «وكانتْ حاجتي حفظَكَ وحياطتَكَ، أفما كانَ في هذا ما تردّ به عنّي بغيَ باغٍ، وسعايةَ ساعٍ؟ ما كنتُ لأُعاديَ من غشّكَ، وأعتبَ بالغشّ لكَ!...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٨)، في هذا الموضع من الرسالة، تتبدّى صورة الآخر

بوصفه خاذلًا في موقف كان يُنتظر فيه الدعم والانتصار، لا السكوت والخذلان، فالعاتب يُبرز حاجته إلى «الحفظ والحياطة» من جانب مَن عَدَّهُ أهلًا للثقة والمودّة، لا سيّما حين تعرّض لبغي وسعاية من الغير، إنّه لا يُطالب الآخر بولاء مطلق، بل بموقف أخلاقيّ يليق بما بينهما من صلة، وبما أوحته العلاقة من أمان وثقة، غير أنّ الآخر خذله، ليس فقط في موقف عارض، بل في لحظة فارقة كان يُفترض أن يكون فيها الدرع والسند.

وتتعمق صورة الخذلان هنا بكونها مزدوجة، خذلان داخلي وخارجي في آن، فالداخلي يتجلى في التخلّي المعنوي عن مقتضيات المودة، والخارجي في التراجع العملي عن النصرة، فالمعاتَب بامتناعه عن دفع الظلم، لم يخذل الصداقة فحسب، بل خذل القيم التي قامت عليها، فهذا النوع من الخذلان وَفْقَ المنظور النفسي، يُولّد شعورًا بالغربة داخل العلاقة، ويزعزع أساس الثقة، لأنّ الجرح لم يكن بفعل عدوّ، بل بسكوت صديق.

ويقول الكاتب في موضع آخر: «لقد جرى على لسانِكَ ما لم يجرِ على لسانِ أخٍ قبلكَ، واضطررتَني في إخائِكَ إلى معاذيرَ لم يضطرّني إليها أحدٌ سواكَ، ولو لم أكنْ بفضلِكَ عارفًا، وعلى نصيبي منكَ شحيحًا، لشححتُ على ما سلفَ منّي...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٩)، فهنا يقدّم العاتب صورة الآخر بوصفه خاذلًا على نحو خاص، إذ جعله في موضع لا يليق أن يُوضَع فيه، وهو موضع التبرير والدفاع عن النفس، فيقول له بوضوح: لقد دفعتني إلى ما لا ينبغي أن يُدفع إليه الأخ لأخيه، واضطررتني إلى أن أختلق الأعذار وأبحث عن المبررات، لا لأنني مذنب؛ بل لأنّك بخذلانك جعلتني أبدو كذلك، وهذا انقلاب في المعادلة الأخلاقية، إذ يصبح المظلوم في موقع المدافع، والمقصِّر في موقع المُدّعي.

وعليه، تكشف هذه الصورة عن مرارة العتاب، لا لأنه يُوجَّه إلى شخص غريب، بل لأنه يُوجَّه إلى من كانت تربطه به رابطة إخاء، فخذلان الآخر لم يكن في فعله فقط، بل في ما جرّ إليه من مشقة نفسية وعناء وجداني، إذ أُجبر العاتب على خوض مسار من الدفاع لا يراه واجبًا، بل مفروضًا عليه ظلمًا.

ج- الآخر بوصفه قابلًا للتأثير.

يمكننا أن نستشفَّ صورة الآخر في رسالة غسان بن عبد الحميد بوصفه شخصًا قابلًا للتأثير بسهولة بالأحداث والأشخاص من حوله، الأمر الذي يُضعف من موقفه وثباته النفسي، هذه القابلية للتأثير تمثل ضعفًا في القدرة على التماسك النفسي، وتفتح المجال أمام المشاعر المتذبذبة والشكوك التي تؤدي إلى تغيّر المواقف واهتزاز الثقة بين الأطراف.

وقد ظهر ذلك في أكثر من موضع في الرسالة، منها قوله: «إنّهُ بلغني أن غاشًّا ظالمًا أتاكَ بأمرٍ، لم أكنْ له أهلًا، ولم تكنْ بقبولِه خليقًا... فوجدَ فيكَ مساغًا، وعندكَ مستقرًّا...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٦)، ظهر الآخر بوصفه شخصًا يميل إلى الانصياع للضغوط الخارجية من دون مقاومة، مما يعكس هشاشة في بنيته النفسية وضعف في ضبط الأنا، ويُمكن تفسير هذا القبول بأنه نتيجة تراجع قدرة الآخر على مقاومة التأثيرات السلبية، ما يجعله عرضة للاعتداء النفسي والإقناع السلبي (لامبرت، ١٩٩٣: ١٤١)، وهو ما يفضي إلى انكسار تماسكه النفسي وفقدان ثقته بنفسه.

علاوة على ذلك، تكشف هذه الحالة عن اضطراب في وظيفة الأنا العليا (الضمير والوعي الأخلاقي)، إذ يفقد الآخر القدرة على المحافظة على قيم الوفاء والولاء، ويتصرف بتأثر واضح بما يمليه عليه المحيط، مما يؤدي إلى خذلان العاتب وفقدان العلاقة الثقة التي كانت تربطهما، وهكذا، يتحول الآخر من فرد مسؤول إلى متأثر، عاطفيًا ونفسيًا، بما يحيط به من ضغوط وتحديات.

ونلمس أثر هذه الصورة في قول الكاتب: «إنَّ الأخَ المخبورَ أولى بالثقةِ من الساعي بالكذبِ والزورِ، وإذا كانَ يُحفظُ الإخوانُ ما هو مثلومٌ بأيدي السفهاءِ، إذا شاءوا سعَوا فقبلَ قولَهم، فكيفَ تبقى على ذلكَ أخوّةٌ، أو تُرعى معهُ حرمةٌ، أو يصلحُ عليه قلبٌ، أو يسلمُ صدرٌ؟...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٧)، تظهر صورة «الآخر» هنا بوصفه شخصًا هشًّا

نفسيًّا، يتأثر بسرعة بمن حوله، من دون تمحيص أو تثبّت، فيخضع لما يُملى عليه من الخارج، حتى لو كان نابعًا من هوى أو زور، إنَّ هذه الاستجابة العفوية للوشايات تمثل حالة من الانقياد الاجتماعي، والرضوخ لضغط الجماعة، إذ يَفقد الفرد استقلالية الحكم، ويغدو أكثر عرضة لتشويه الإدراك القيمي تجاه من تربطه بهم علاقات وثيقة (زهران، ١٩٨٤: ٦٧ـ٦٨).

المبحث الثالث: الآليات الدفاعية في الرسالة العتابية

يمثّل العتاب بوصفه خطابًا وجدانيًا مشحونًا بالألم خزانًا دلاليًّا غنيًّا بالمؤشرات النفسية التي تعكس تفاعلات الذات في لحظة اختلال العلاقة بالآخر، وفي هذا السياق، تستدعي الذات أنماطًا دفاعية متعدّدة، تُعرف في علم النفس بالميكانيزمات الدفاعية، تسعى من خلالها إلى حماية تماسكها النفسي، والتخفيف من وطأة الانفعالات السلبية.

وتُعرَّف الميكانيزمات الدفاعيّة أو الآليات الدفاعية على أنّها: «الأساليب التي تستغلها الأنا في الصراعات التي تؤدّي إلى الاضطراب العصبي» (وجليسر، د.ت: ٣)، كما تُعدّ الميكانيزمات الدفاعية سيرورات معرفيّة تعمل على حماية الفرد من القلق الشديد والانفعالات السلبيّة، علاوة على تقدير الذات، كما أنّها تعمل على مستوى لاشعوري (ديبون، ٢٠١٦: ٢٩٠ & فرويد، ١٩٨٧: ٤٠٥)، وهي «ذرائع تقي الفرد من الآلام التي تأتيه من جسمه ومن نفسه ومن الناس، ومن ثم فهي تعينه على تحمُّل أعباء الحياة وصدماتها، وتهبه شيئًا من الراحة والهدوء» (رابح، ١٩٦٨: ٤٨٣).

وعليه، يهدف هذا المبحث إلى الكشف عن أبرز هذه الآليات كما تجلّت في بنية الرسالة العتابية، من خلال تتبّع تمظهراتها اللغوية والسياقية، وتحليل وظائفها في التخفيف من التوتر، وضبط مشاعر الألم، والحفاظ على صورة الذات في مواجهة الآخر المتسبب بالخذلان.

أولًا: ميكانيزم الإنكار.

تُعدّ آلية الإنكار الدفاعية من أقلّ المكانيزمات الدفاعية تعقيدًا؛ إذ إنّها ترتبط بالدفاع عن النفس بصيغ النفي أو ما يقاربها، وغالبًا ما ترتبط بِمَن هم في مرحلة الطفولة (ديبون: ٢٠١٦: ٢٩٤)، وقد ظهرت هذه الآلية الدفاعيّة في رسالة غسان بن عبد الحميد بشكل كبير وواضح، ويمكننا أنّ نلاحظها من قوله: «ولقد ثقلَ عليّ ما كانَ من ذلكَ، وهو باطلٌ...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٦).

ولعلّ الإنكار هنا ليس طفوليًا، بل إنكار مغلّفٌ بالبلاغة، ويُفهم من قول الكاتب: «وهو باطل» أنّه يلجأ إلى إنكار ما نُسب إليه أو ما فهمه من موقف الطرف الآخر، لا عبر دحضٍ مسهب، بل بتوصيف موجز يستبعد وقوع الفعل من الأصل، وهذا النفي، وإنْ بدا خفيفًا في ظاهره، إلا أنه يؤدي وظيفة دفاعيّة مهمّة، تتمثل في تخفيف التوتر النفسي الناتج عن الإحساس بالظلم أو التقصير، ويدلّ هذا الإنكار على رفض تحمّل المسؤولية الكاملة عمّا جرى، ومحاولة إعادة تأويل الحدث بما يبرّر موقف الذات.

ومنها قوله: «فما كنتُ لأقطعَ خاصّتي ممّن يرغبُ في عامّتي، ولا لأُضيّعَ الكثيرَ ممّن لا يُضيّعُ اليسيرَ، ولا ألقى أخًا شاهدًا، بغيرِ ما أكونُ عليه غائبًا...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٥)، وقوله: «ما كنتُ لأُعاديَ من غشّكَ، وأعتبَ بالغشّ لكَ! ولا لأُواليَ من ناصحَكَ، وأقطعَ نصيحتي لكَ! ولا لأُعرّضَ نفسي فيكَ...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٨)، وقوله: «واعلمْ أنّا لم نَحلْ عن حبسِ الرأي في حفظِ حقِّكَ ساعةً من ليلٍ ولا نهارٍ، في سرٍّ ولا علانيةٍ، ولا غيبةٍ ولا شهادةٍ...» (صفوت، ١٩٣٨: ١٢٠).

يتجلّى في هذه المقتطفات نموذجٌ راقٍ لآلية الإنكار بوصفها ميكانيزمًا دفاعيًا، غير أنها لا تأتي هنا على صورتها البدائية الطفولية التي تنكر الواقع ببساطة، بل تتّخذ طابعًا بلاغيًا متقدّمًا، مشحونًا بحسّ أخلاقيّ وعقليّ، فالكاتب لا يواجه اتهامًا أو شبهة إلا وينفيها نفيًا مركّبًا، متوسِّلًا فيه بلام الجحود التي تفيد توكيد النفي، فالكاتب لم يرد

مجرد النفي، وإنّما أراد توكيده (أبو خشبة، ٢٠٢٠: ٦١٦٣).

فهو لا يكتفي بإنكار الفعل (كالخيانة أو الغش أو التقصير)، بل يُحيل على مبدئيّته الأخلاقية بوصفها الحاكمة لسلوكه، فيجعل نفيه وسيلة لإعادة بناء صورته عند المتلقي، لا للهروب من الاتهام فحسب، وبهذا، يُمكن القول إنّ إنكاره ليس تنصّلًا من المسؤولية، بل إعادة تشكيل لها، وفق رؤية تُغلِّب صفاء النيّة، ودوام الوفاء، وحرص الضمير، ما يجعل هذا الإنكار بلاغيًا أخلاقيًا لا نرجسيًا دفاعيًا فقط.

ثانيًا: ميكانيزم الإسقاط.

تُعدّ هذه الآلية الدفاعية أكثر تعقيدًا من سابقتها، إذ يُقدِم الفرد من خلالها على إزاحة الأفكار والمشاعر السلبية التي تؤرّقه، وإسقاطها على شخص آخر؛ وذلك في محاولة لا شعورية للتخفيف من وطأة الشعور بالذنب، والتنصّل من الاتهام الداخلي، عبر نسبته إلى الغير وتحميله تبعاته (ديبون، ٢٠١٦: ٢٩٤).

وقد تجلَّت آلية الإسقاط في مواضع عدّة من الرسالة، من مثل قوله: «إنّهُ بلغني أن غاشًّا ظالمًا أتاكَ بأمرٍ، لم أكنْ له أهلًا...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٦)، وقوله: «فإنَّ الأخَ المخبورَ أولى بالثقةِ من الساعي بالكذبِ والزورِ...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٧)، ففي هذين الموضعين، يُمارس الكاتب فعل الإسقاط بصورة نفسية دفاعية بارعة؛ إذ إنّه يُبعد عن ذاته شبهة الخيانة أو التقصير، وينسبها إلى طرف ثالث، هو «الساعي» أو «النمّام» الذي حرّف الحقيقة ولفّق التهمة، فالكاتب عِوَضًا عن مواجهة الاتهام أو نقد الذات مباشرة، يُسقط تلك المشاعر السلبية ـ من خيانة وظلم وافتراء ـ على هذا الشخص الغائب، الذي يتقمص دور الخصم والمُحرّض.

وهذا النوع من الإسقاط يُعدّ مخرجًا نفسيًا يتيح للذات أن تُبقي على صورة نقية عن نفسها، وتتخلص من وطأة الذنب الداخلي، عبر نقل المسؤولية إلى الآخر، فالساعي

ـ في منطق الرسالة ـ ليس مجرد ناقل للخبر، بل هو المعتدي الحقيقي، وهو الذي اختلق التهمة وضلّل الطرف الآخر، في حين يحتفظ الكاتب لنفسه بموقع الضحية التي أُسيءَ فهمها وشُوّه موقفها بفعل خارجي دخيل.

ثالثًا: ميكانيزم التعويض.

التعويض هو إحدى الآليات الدفاعية النفسية، يلجأ فيها الفرد إلى إبراز سمة إيجابية أو مرغوبة للتغطية على صفة أخرى يرى فيها نقصًا أو جانبًا غير مقبول، فيسعى من خلالها إلى إخفاء ما يراه عيبًا بإظهار ما يُحمد (الرفاعي، ١٩٦٦: ٢١٥).

وقد ظهرت هذه الآلية في مستهل رسالته عندما قال عن الأخوة: «تُرعى بوفاءٍ، وتُؤدّى بأمانةٍ، وتُضيّعُ بتقصيرٍ، وتُنتقصُ بخيانةٍ. ليسَ من أُدِّيَ إليهِ فيما يُحفظُ منها بأسعدَ من المؤدّي لها فيما يأخذُ به من الفضلِ لنفسِه، وليسَ من ضُيّعَتْ منهُ بأشقى ممّن ضيّعَها فيما يدخلُ من التقصيرِ عليه، فإنّهُ من أخطأَهُ الوفاءُ من أخيهِ، فإنّما يدخلُ عليه تقصيرُ غيرِه، ومن ضيّعَ الوفاءَ لإخوانِه فقد أدخلَ النقصَ في خاصّةِ نفسِه...» (صفوت، ١٩٣٨: ١١٣).

في هذا النص تُفهم آلية التعويض من خلال اعتماد الكاتب على بناء تضاديّ صارخ بين القيم الإيجابية والسلبية؛ فهو يرفع من شأن الوفاء والأمانة، ويُنزّل من قدر الخيانة والتقصير، فيُعلي الأولى بوصفها عنوان الكمال، ويُدين الثانية بوصفها موطن النقص والخزي، ولعلّ هذا التضاد ليس مجرد تنويع بلاغي، بل وسيلة دفاعية نفسية يُظهر بها الكاتب جانبًا مضادًا لما قد يُتهم به، سعيًا إلى إخفاء ما يراه تهديدًا لصورته أمام الآخر.

فهو لا يقول «أنا لست خائنًا» صراحة، بل يجعل الخيانة قرينة النقص، والوفاء عنوان الفضل، ليُفهم ضمناً أنه من أهل الأولى لا الثانية، وبهذا يكون التضاد وسيلته النفسية لتعويض ما يشعر به من اتهام أو خذلان، فيبني خطابه على تمجيد الصفات

التي يتمنى أن يُنسب إليها، وتحطيم ما يُخشى أن يُلصق به، دفاعًا عن الذات وتبرئةً لها في آنٍ واحد.

رابعًا: ميكانيزم التسامي.

تُعدّ آلية التسامي من أرقى صور الدفاع النفسي التي يلجأ إليها الإنسان، إذ يعمد من خلالها إلى تحويل طاقاته ودوافعه، التي قد تكون مرفوضة اجتماعيًا، إلى مجالات سامية تحظى بقبول المجتمع وتقديره، فهي تمثّل انتقالًا من السلوك الغريزي أو الدافع المكبوت إلى أفعال راقية تُكسب الفرد احترام الآخرين وإعجابهم (الرفاعي، ١٩٦٦: ٢١٩ـ ٢٢٠).

يتجلّى ميكانيزم التسامي بوضوح في رسالة غسان بن عبد الحميد، إذ إنَّ بوادر الانفعال النفسي والشعور بالأذى من الطرف الآخر تظهر بوضوح، غير أن الكاتب لا يستسلم لهذه المشاعر، بل يحوّلها إلى خطاب أخلاقيّ سام، قائم على ضبط النفس، وسموّ التعامل، والوفاء على الرغم من الخذلان، ففي قوله: «وإنّي لأرجو أن أكونَ ممّن يصبرُ للوفاءِ على بليّةٍ إنْ نزلتْ...» (صفوت، ١٩٣٨: ١٢٠)، يتجلّى هذا التسامي بوضوح، إذ يجعل الكاتب من تحمّل الأذى والتشبث بالوفاء قيمة إنسانية رفيعة، يترفع بها عن ردّ الأذى بمثله، ويحيل انفعاله الداخلي إلى خلقٍ يُعتزّ به لا إلى فعل انتقاميّ.

ويُلاحظ أيضًا كيف يحوّل مشاعر الخيبة أو الغضب من انقطاع الرسائل وغياب التواصل إلى خطاب يتزيّن بحسن الظنّ: «ونحنُ نحسنُ الظنَّ بكَ، وبحالِنا عندكَ، لا نُنزلُ ذلكَ إلّا على العذرِ لكَ، والشغلِ منك...» (صفوت، ١٩٣٨: ١٢٠)، فبدلًا من مواجهة الجفاء باتهام مباشر، يسمو الكاتب فوق الجراح، ويختار تأويلًا مشرّفًا لسلوك الآخر، مردّه إلى العذر والانشغال، لا الإهمال أو القطيعة، وهذا تحويلٌ للدافع الانفعالي إلى تعبير يتماهى مع القيم العليا، لا مع نزوات الغضب أو الانتقام.

ويبلغ التسامي ذروته في قوله: «فراجعْ أحسنْ، واعلمْ أنّا لم نَحُلْ عن حبسِ الرأيِ في حفظِ حقِّكَ ساعةً من ليلٍ ولا نهارٍ، في سرٍّ ولا علانيةٍ، ولا غيبةٍ ولا شهادةٍ، ولا نأتي أمرًا يُنقصُ من حرمتِنا، والسلامُ.» (صفوت، ١٩٣٨: ١٢٠)، إذ يصرّ الكاتب على إبقاء العقل والنية في موضع الوفاء والاحترام على الرغم من الغياب، فيؤكّد أنّه لم يتخلَّ عن حماية العلاقة، لا في غيبته ولا في حضوره، في السرّ كما في العلن، وهذا الإصرار على السلوك الراقي في وجه الصمت والتجاهل ليس سوى تعبير صادق عن آلية نفسية متقدّمة، يُحوَّل فيها الألم إلى خُلق، ويستبدل مشاعر الجرح بالفعل النبيل، فيسمو بذاته فوق الموقف، ويكسب احترام الآخر حتى في لحظة الخذلان.

الخاتمة

الحمد لله على حُسْن الختام، والشكر له على التمام، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد خير الأنام، وبعد: ففي ضوء ما تقدّم، وبعد البحث والتحليل بِقَدَرِ المُكْنة، تمت دراسة رسالة العتاب لغسان بن عبد الحميد، وأفضتِ الدراسة إلى نتائجَ عدَّةٍ، لعلّ من أهمها:

أولًا: برزت في نص رسالة العتاب صورة الذات العاتبة بوصفها كيانًا متأرجحًا بين الانفعال والعقلانية، بين الرغبة في مواجهة الخذلان والالتزام بموازين الأخلاق، وهو ما أظهر توازن الكاتب بين مشاعره الداخلية والواجبات الأخلاقية تجاه الآخر، فتجلّت الذات الموجوعة حافظةً للوفاء ومقاومة للغضب العابر.

ثانيًا: اتّضح من التحليل أن صورة الآخر في الرسالة تتسم بالامتناع والتملّص من روابط الودّ، بما يضاعف الصراع النفسي للمرسِل ويبرز مأزقه العاطفي والأخلاقي، ويجعل خطاب العتاب فضاءً للتفكير في طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر، وكيفية إعادة بناء الثقة والمودة بعد الخذلان.

ثالثًا: أظهرت القراءة استخدام الكاتب لآليات دفاعية نفسية متنوّعة، منها الإنكار والإسقاط والتسامي، لتخفيف وطأة الألم النفسي وإعادة التوازن الداخلي، فتتحوّل الرسالة إلى مرآة لصراع الذات مع الضغوط الانفعالية، وإلى إطار يعبّر عن محاولة التوفيق بين الصراحة واللباقة، بين المواجهة والحفاظ على العلاقة.

رابعًا: دلّ التحليل على أنّ المنهج النفسي كشف عن طبقات خفية من المشاعر والانفعالات، لم تكن لتبرز بالقراءة البلاغية التقليدية، ما يوضح أن الرسالة لا تكتفي بوصفها نصًا أدبيًا، بل هي سجلّ نفسي ينبئ عن وعي الكاتب بذاته وموقفه الأخلاقي تجاه الآخر، وعن قدرته على التحكم في انفعالاته عبر خطاب متوازن وراقٍ.

خامسًا: تُبرز الدراسة قيمة النص العتابي بوصفه وثيقة نفسية وأدبية معًا، إذ يجمع بين جمال الأسلوب وصدق الانفعال، ويقدّم مثالًا للرسائل الأخوية التي تصون المودة والوفاء، مع تقديم مثال حيّ على كيفية التعامل مع خذلان الآخرين بطريقة تمثل نضجًا نفسيًا وأخلاقيًا متقدّمًا.

المصادر والمراجع

١. إسماعيل، عز الدين (د.ت). التفسير النفسي للأدب. ط/٤. مكتبة غريب. القاهرة.

٢. التميمي، أبو نصيّة (٢٠١١). العتاب بين الأصدقاء. ط/١. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.

٣. التوحيدي، علي بن محمد (١٩٩٨م). الصداقة والصديق. تحقيق: إبراهيم الكيلاني. ط١. دار الفكر. دمشق.

٤. جابر، رائدة مهدي (٢٠١٣). العتاب في الشعر العباسي. (بحث منشور)، مجلة كلية التربية الأساسية. (ع١٠). جامعة بابل، العراق.

٥. أبو خشبة، هشام علي (٢٠٢٠). رسالة العِتاب لغسان بن عبد الحميد دراسة تحليلية. (بحث منشور)، حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ع ٣٣. مصر.
٦. ديبون، وكبداني (٢٠١٦). الأركان السبعة لنظرية الميكانيزمات الدفاعية حسب فيبيكراميـر. (بحث منشور)، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، (ع٢٥). (م٣). الجزائر.
٧. الذهبي، شمس الديم محمد (١٩٨٥). سير أعلام النبلاء. تحقيق: حسين أسد وآخرون، ط/٣. مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٥ جزءًا، ج٦.
٨. رابح، أحمد عزَّت (١٩٦٨). أصول علم النفس. ط/٧. دار الكتاب العربي. القاهرة.
٩. الربيعي، علي عباس (١٩٩٩). فنّ العتاب في شعر البحتري. (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الكوفة. الكوفة. العراق.
١٠. الربيعي، محمود (١٩٩٤). مداخل نقدية معاصرة إلى دراسة النص الأدبي. (بحث منشور)، مجلة عالم الفكر، مجلد٢٣، (ع١+٢). الكويت.
١١. الرفاعي، نعيم (١٩٦٦). الصحة النفسية ـ دراسة سيكولوجية في التكيّف. د.ط. المكتبة التعاونية. دمشق.
١٢. صفوت، أحمد زكي (١٩٣٨). جمهرة رسائل العرب. ط/١. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة. ٤أجزاء، ج٣.
١٣. ضيف، شوقي (د.ت). العصر العباسي الأول. ط/٨. دار المعارف. القاهرة.
١٤. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (١٩٨٤). المنظوم والمنثور. تحقيق: ضيف الله الحارثي. ط/١. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
١٥. فرويد، آنا (١٩٨٧). الأنا وآليات الدفاع. ترجمة: باسمة المُلا. ط/١، دار قابس. بيروت.
١٦. فرويد، سيجموند (١٩٦٦). الأنا والهو. ترجمة: محمد عثمان نجاتي. ط/٣، دار

الشـروق. بيـروت.

١٧. القرطبـي، يوسـف بـن عبـد اللّه (د.ت). بهجـة المجالـس وأنـس المجالـس وشـحذ الذاهـن والهاجـس. تحقيـق: محمـد مرسـي الخولـي. د.ط. دار الكتـب العلميـة. بيـروت.

١٨. لامبـرت، وليـم وولاس لامبـرت (١٩٩٣). علـم النفـس الاجتماعـي. ترجمـة: سـلوى المُـلا. ط/٢. دار الشـروق. بيـروت.

١٩. ابن النديم، محمد بن إسحاق (د.ت). الفهرست. د.ط. دار المعرفة. بيروت.

٢٠. وجليسـر، إيليفتش (د.ت). قائمـة ميكانيزمـات الدفـاع. ترجمـة: مجـدي الدسـوقي. ط/١. مكتبـة الأنجلـو المصريـة. القاهـرة.

References

1- Ismail، Ezz El-Din (n.d.). The Psychological Interpretation of Literature. 4th ed. Gharib Library. Cairo.

2- Al-Tamimi، Abu Nasih (2011). Reproach Between Friends. 1st ed. King Fahd National Library. Riyadh.

3- Al-Tawhidi، Ali bin Muhammad (1998 AD). Friendship and the Friend. (Published Research)، Edited by: Ibrahim Al-Kilani. 1st ed. Dar Al-Fikr. Damascus.

4- Jaber، Raeda Mahdi (2013). Reproach in Abbasid Poetry. Journal of the College of Basic Education. ('10). University of Babylon، Iraq.

5- Abu Khashaba، Hisham Ali (2020). The Epistle of Reproach by Ghassan bin Abdul Hamid: An Analytical Study. (Published Research)، Annual of the Faculty of Arabic Language، Itay al-Baroud، Issue 33، Egypt.

6- Dibon، and Kabdani (2016). The Seven Pillars of the Theory of Defensive Mechanisms according to Vikramer. (Published Research)، Journal of the Generation of Human and Social Sciences، (Issue 25). (Vol. 3). Algeria.

7- Al-Dhahabi، Shams al-Dim Muhammad (1985). Biographies of the Noble Figures. Edited by: Hussein Asad and others، 3rd ed. Al-Risala Foundation، Beirut، 25 parts، Vol. 6.

8- Rabeh، Ahmed Ezzat (1968). Principles of Psychology. 7th ed. Dar Al-Kitab Al-Arabi. Cairo.

9- Al-Rubaie، Ali Abbas (1999). The Art of Reproach in Al-Buhturi's Poetry. (Unpublished Master's Thesis)، University of Kufa. Kufa، Iraq.

10- Al-Rubaie، Mahmoud (1994). Contemporary Critical Approaches to the Study of Literary Texts. (Published Research)، Alam Al-Fikr Magazine، Vol. 23، (Iss. 1+2). Kuwait.

11- Al-Rifai، Naeem (1966). Mental Health - A Psychological Study of Adaptation. 1st ed. Al-Maktaba Al-Taawuniya. Damascus.

12- Safwat، Ahmed Zaki (1938). Jamharat Rasa'il al-Arab. 1st ed. Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Press. Cairo. 4 parts، vol. 3.

13- Daif، Shawqi (n.d.). The First Abbasid Era. 8th ed. Dar al-Ma'arif. Cairo.

14- Ibn Tayfur، Ahmed bin Abi Tahir (1984). Poems and Prose. Edited by: Daif Allah al-Harithi. 1st ed. Umm al-Qura University. Makkah al-Mukarramah.

15- Freud، Anna (1987). The Ego and Defense Mechanisms. Translated by: Basima al-Mulla. 1st ed. Dar Qabes. Beirut.

16- Freud, S. (1966). Al-ana wa al-hu [The ego and the id] (M. U. Najati, Trans.). Dar Al-Shorouq.

17- Al-Qurtubi, Y. b. A. (n.d.). Bahjat al-majalis wa uns al-majalis wa shahdh al-dhahn wa al-hajas (M. M. Al-Khuli, Ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

18- Lambert, W. W., & Lambert, W. W. (1993). Ilm al-nafs al-ijtima'i [Social psychology] (S. Al-Mulla, Trans.). Dar Al-Shorouq.

19- Ibn al-Nadim، Muhammad ibn Ishaq (n.d.). Al-Fihrist. No. ed. Dar al-Ma'rifa. Beirut.

20- Glaser، Ilievich (n.d.). List of Defense Mechanisms. Translated by: Magdy al-Dessouki. 1st ed. Anglo-Egyptian Library. Cairo.